دراسة فنية وتحليلية لرواية "الوعد الحق" لطه حسين

An Analysis of the Novel "Al-Wadūl Ḥaq" by Ṭāhā Ḥussain

Mr. Muhammad Rafīq
Ph.D Scholar, Bahauddin Zakaria University, Multān, Pākistān

Mr. Syyed Attā Ullāh Bukhārī
Ph.D Scholar, University of Jamshoro, Sindh, Pākistān

Abstract:

This article discusses the famous novel "Al-Wadūl Ḥaq" published on 1939 in Berūt, written by renowned Arabic novelist Dr. Ṭāhā Ḥussain who was the most Influential Egyptian writer of 20th century and the founder of the most modernist movement in the Middle East and North Africa. In this article, certain aspects of the novel are visualized; consequently, unity and narration of characters, facts, events and dialogues are delinated. All the characters of novel are real and historical. In this novel dialogues are according to standard as well as situation. Due to the survival of the historical events, reader does not suffer apprehension during studying of the novel. Elegantly the novel is culminated and having tremendous position because the novelist has completed all the aspects artistically. He narrated the brutality of Kufare Makkah on the Muslims. He also described the migration of the Muslims to Ethopia and Madina. As well as he mentioned the bettle of Badar and brother hood in faith between Muslims.

Keywords: *Al-Wadūl Ḥaq, Africa, Ethopia, Badār, Yāsīr*

شخصيات الرواية:

يقسم الروائي شخصيات الرواية الى أنواع عديدة : منها شخصيات رئيسية وهي التي تدور الأحداث حولها، ويكون موضوع الرواية مرتبطاً بها ارتباطاً شديداً، وهي التي تظهر بالبطل.

والرواية "الوعد الحق" تشتمل شخصيات حقيقية، بعضها إيجابية وبعضها سلبية، وبعضها رئيسية وثانوية وتفصيل الشخصيات كالتالي":

١- ياسر بن عامر رضي الله تعالى عنه : الصحابى الجليل وهو أول مقتول فى الاسلام.[١]

٢- سمية بنت خياط رضي الله تعالى عنها : الصحابية الجليلة وهى أولى مقتولة فى الاسلام.[٢]

٣- عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه : الصحابى الجليل و هو من الأوائل المسلمين[٣]

٤- بلال بن رباح رضي الله تعالى عنه : هو أول مؤذن فى الاسلام.[٤]

٥- صهيب بن سنان رضي الله تعالى عنه : الصحابى الجليل و هو من الأوائل المسلمين[٥]

٦- أبو جهل : مثال للشر المطلق و الظلم ، بدون أى رحمة[٦]

٧- خباب بن أرت رضي الله تعالى عنه : الصحابى الجليل و من الأوائل المسلمين وهو الذى من ترک ماله لقريش لتسمح له بالهجرة[٧]

٨- أبرهة : هو أراد بمهاجمة كعبة الله [٨]

٩- عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : هو الذى من أول من جهر بالقرآن بمكة المنورة[٩]

١٠- أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : الأول من الخلفاء الراشدين. [١٠]

١١- سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه : الخليفة الثاني.[١١]

١٢- سيدنا عثمان غني رضي الله تعالى عنه : الثالث من الخلفاء الراشدين.[١٢]

١٣- سيدنا علي المرتضى رضي الله تعالى عنه : آخر الخلفاء الراشدين.[١٣]

١٤- خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه : سيف الله.[١٤]

أحداث الرواية:

الحدث والأحداث عنصر أساسي في الرواية، الذي تبنى عليه، بل صلب الحكاية أو ما يسمى بالمتن القصصي، ولابد أن تكون أجزاء الحدث متصلة، ووقائعه متلاحمة بحيث يأخذ بيد القارئ أو السامع إلى الأثر القلبي الذي يوحى بأن للأحداث في صلب الرواية معنى.

وهي المواقف والأفعال التي تفعلها شخصيات الرواية وأهمية هذا العنصر تظهر في أن لأي رواية أحداث أو حدث تبني عليها وتسرد من هذه الأحداث أقوال وأفعال تؤدي في النهاية إلى جمال الرواية.

أحداث رئيسية :

وهي الأحداث التي تكون منعطفاً في الرواية وقد تكون حدثاً واحداً تدور حوله الرواية بكاملها ويسمى بالحدث المحوري للرواية.

أحداث ثانوية:

وهي حوادث صغيرة تمثل حركات الشخصيات التي تعد من تفاصيل وجزئيات الحياة التي لابد منها وتدور هذه الأحداث الثانوية كلها حول الحدث أو الأحداث الرئيسية. والأحداث الرئيسية في رواية "الوعد الحق" كالتالي:

رحلة ياسر و إخوته:

كان هؤلاء الفتية الثلاثة قد خرجوا من دارهم بتهامة اليمن يلتمسون أخالهم فقدوه، فطوّفوا فى الأرض ما طوّفوا، و بحثوا عن أخيهم ما بحثوا، فلما استيأسوا منه عادوا إلى أرضهم، و مروا بمكة أثناء عودتهم، و أووا إلى مكة، وعاد الفتى ياسربن عامر ودّعهما أخوين حارث و مالك إلى مكة، فأقام فيها ضيفاً على أبى حذيفة أوّل الأمر، ثم حليفاً لأبى حذيفة بعد ذلك ، ثم زوجاً لسمية أمته السوداء تلك ، ومنذ ذلك الوقت عرفته الدنيا و حفظه التاريخ. قد لخص الراوى فى هذه السطور القصيرة رحلة طويلة قام بها ياسر و إخوته، و ربما لعدم أهمية ما دار فيها ، فهو يريد أن يبين شيئا واحدا هو سبب سفر ياسر إلى مكة و حياة الباقى.[١٥]

ما دار (كلام) بين ياسر و أبى حذيفة:

ياسر و أبى حذيفة بلغا دار أبى حذيفة، فأنفقا فيها سائر النهار و شطرًا من الليل يخوضان فى أحاديث الدين و الدنيا و فى أحاديث تهامة و نجد و الحجاز. وقد وقع حب الفتى فى قلب أبى حذيفة موقعًا غريبًا، حتى قال لنفسه و لأهله حين خلا إلى أهله: ماأحببتُ غريبًا قط كما أحببتُ هذا الفتى، و لو كنتُ متخذًا ولدًا لاتخذته ولدًا.[١٦]

وكان التاريخ فى ذلك الوقت، كما كان فى أكثر الأوقات، أرستقراطيا لا يحفل إلا بالسادة، و لا يلتفت إلا إلى القادة . وكان التاريخ فى ذلك الوقت، كما كان فى أكثر الأوقات، ضنينًا بخيلًا و مستكبرًا متعاليا، يحفل بالسادة فى تحفظ و يلتفت إلى القادة فى كثير من الاحتياط، لا يسجل من أمرها إلا ما كان له شأن أو خطر.[١٧]

هجرة المسلمين إلى الحبشة:

و لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما يصيب أصحابه من البلاء، و أنه لا يقدر على أن يمنعهم، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فَرَجاً مما أنتم فيها. فخرجت عند ذلك جماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة، فكانت أول هجرة فى الإسلام و كانوا عشرة رجال، أمّوا عليهم عثمان . ثم خرج جعفر بن أبى طالب ، وتتابع المسلمون ، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، منهم من خرج بأهله و منهم من خرج بنفسه، و كان جميع من هاجر إلى أرض الحبشة ثلاثة و ثمانين رجلًا.[١٨]

هجرة الرسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر من مكة ، و أمر أبو بكر ابن عبدالله بن أبى بكر أن يستمع لهما ما يقول الناس فيهما بمكة، و أمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهارًا ، و يريحها عليهما ليلًا، و كانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام . و عمدا إلى غار من ثور، و دخل أبو بكر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمس الغار خوفًا من أن يكون فيه ما يؤذى رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دعاه. و بينماهما كذلك اذ بعث الله العنكبوت، فنسجت ما بين الغار و الشجر التى كانت على وجه الغار، و سترت رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبا بكر ، و أمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدفان ، حتى وقعتا بين العنكبوت و بين الشجرة.

واقتفى المشركون أثر رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما بلغوا الجبل، اختلط عليهما ، فصعدوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه . و بينماهما فى الغار، إ ذ رأى أبو بكر آثار المشركين ، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه و سلم ! لو أن أحدهم رفع قدمه، رآنا، قال: ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما؟ و فى ذلك يقول القرآن الحكيم: ((**اِلّا تَنْصُرُوْه فَقَدْ نَصَرَه الله اِذْ اَخْرَجه الّذِينَ كفَرُوْا ثَانِىَ اثْنَينِ اِذْهما فِى الْغَارِ اِذْ يقول لِصَاحِبه لَا تَحْزَنْ اِنّ الله مَعَنَا**))[١٩]

و جعلت قريش فى رسول الله صلى الله عليه و سلم حين فقدوه، مائة ناقة، لمن يرده عليهما، و مكثا فى الغار ثلاث ليال ، ثم انطلقا، و معهما عامر بن فهيرة، و دليل من المشركين، استأجره رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخذبهم على طريق السواحل . و حمل سراقة بن مالك بن جعشم الطّمعُ على أن يتبع رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و يردّه على قريش ، فياخذ مائة ناقة منهم، فركب على أثره يعدو، و عثر به الفرس، فسقط عنه ، فأبى إ لا أن يتبعه ، فركب على أثره ، و عثر به الفرس مرة ثانية، فسقط عنه ، فأبى إلا أن يتبعه، فركب على أثره ، فلما بداله القوم، ورآهم ، و عثر به الفرس مرة ثالثة، و ذهبت يداه فى الأرض و سقط عنه، و تبعهما دخان كالإعصار . و عرف سراقة حين رأى ذلك أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حماية الله تعالى، و أنه ظاهر لا محالة، فنادى القوم ، و قال: أنا سراقة بن جعشم ، انظرونى أكلمكم، فوالله لا يأتيكم منى شئى تكرهونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبى بكر : قل له : و ما تبتغى منّا؟ قال سراقة: تكتب لى كتابًا يكون آية بينى و بينك، فكتب له عامر بن فهيره كتابًا فى عظم أو رقعة.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لسراقة: كيف بك إذا لبست سِوَارَى كسرٰى؟ و كان كذلك ، فلما أُتِىَ عمر بسوارَى كسرٰى و منطقته و تاجه، دعا سراقة بن مالك فالبسه إياها . و عرض عليه سراقة الزاد و المتاع ، فلم يقبله رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و لم يزد أن قال أخفِ عنّا.[٢٠]

هجرة عمار بن ياسر:

لم يخلص عمار بن ياسر من هذه الفتنة المنكرة التى كانت تتلاحق طورًا و تتقطع طورًا آخر إلا حين أذن الله للمسلمين فى الهجرة إلى أرض الحبشة، فهاجر عمار بن ياسر الهجرة الثانية ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة، فعاش مع رسول الله صلى الله عليه و سلم آمنًا سالمًا موفورًا .[٢١]

دار ارقم بن أبى ارقم:

هي الدار التى بدأ فيها الرسول صلى الله عليه و سلم الهجرة بالدعوة، و كان يجتمع فيها الرسول صلى الله عليه و سلم مع أصحابة. و فى هذه الدار جماعة المسلمين جلسوا مع النبى صلى الله عليه و سلم يسمعون له، وهو يعظهم ويزكيهم و يتلو عليهم القرآن الحكيم.[٢٢]

فتح مكة:

و أقبل المسلمون يوم الفتح فدخلوا مكة ظافرين، و ثابت قريش إلى الإسلام طوعًا أو كرهاً، و عفا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن مسييها ، و قال لهم ما قاله يوسف لإخوته: **(لاَ تَثرِيبَ عَلَيكمُ اليوم يغفِرُالله لَكم وَهو أَرحَمُ الرّاحِمِينَ)**[٢٣] و حطم الأصنام، و طهرَ الكعبة، و أخلصها الله عزوجل، ثم قال لبلال : اصعد فأذِّن على ظهر الكعبة، و صعد بلال فأذّن على ظهر الكعبة.[٢٤]

غزوة بدر:

أقبل النذير فملأ قلوب قريش ذُعراً حين أنبأها أبا سفيان يستغيثها و يستنفرها و يعلمها أن محمداً قد خرج بأصحابه من المدينة يستعرض العير. و لم يتقدّم النهار حتى كانت قريش قد نَفَرت، و جعلت تجهز جهازَها للحرب، يتنافس أشرافها فى ذلك أى تنافس، وستبقون اليه أى استباق.و استيقن أبو جهل أن قد جاء الوقت الذى كان ينتظره منذ أعوام طوال، و أن قريشاً لن تخرج لتحمى العيرَ فحسب ، و انما تخرج لتسحق محمداً و أصحابه ، و تريح منهم مكة و يثرب جميعا و تراء ى الجَمعان ببدر ، و نظرت قريش فاذا محمد فى قِلة من أصحابه ، فامتلأت عُجباً وتيها ، و نظر النبى صلى الله عليه و سلم فاذا قريش قد أقبلت بقضّها و قضيضها ، فاستنجز الله وعده ، واسترل نَصرَه ، و تضرع اليه فى أن يثَبّتَ قلوب المؤمنين. و تدانى الجمعان. رأى أولئك وهؤلاء أبا حذيفة يدعو أباه للمبارزة، و يبلغ هند بنت عتبة وزوج أبى سفيان أن أباها و أخاها الوليد و عمها شيبة قُتِلوا، و أن أخاها أبا حذيفة قد دعا أباه للقتال، فتقول فى هذا كله فتكثر القول ، و تهجو أخاها أبا حذيفة بهذين البيتين.

الأحوال الأثعلُ المشؤم طائره أبو حذيفة شر الناس فى الدين

أما شكرتَ أبًا ربّاك من صغيرٍ حتى شببتَ شبابًا غيرَ محجون[٢٥]

فتح المسلمون قتال البدر، فكبّر النبى صلى الله عليه وسلم و كبّر مَن حوله المسلمين ، و وقف البنى صلى الله عليه وسلم بعد ساعة على صَرعى قريش و قد أُلقُوا فى القليب فقال: "يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقّاً ؟ فانى وجدت ما وعدنى ربى حقّاً".قال بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم: انهم يا رسول الله صلى الله عليه و سلم! قال: " انهم ليسمعون كما تسمعون الا أنهم لا ينطقون".[٢٦]

وحدة الزمان والمكان:

البيئة الزمانية: فلابد لكل حدث من شخص أو أشخاص يوقعونه، حسب القاعدة التي تقول: "كل حدث لابد له من محدث" وإذا توافر الحدث ومحدثه فلابد من زمن يقع فيه الحدث، فليس هناك حدث خارج دائرة الزمن، كما أنه لابد من مكان يقع عليه هذا الحدث، ويتحرك في جنباته محدثه، وهو ما نطلق عليه البيئة الزمانية والمكانية للأحداث داخل بنية الرواية، وتتحرك الرواية في خطين متعامدين يحددان موقع الحدث وهما الزمان والمكان.

ويمكن أن تدور أحداث الرواية في الماضي بالعودة إليه والعيش فيه عبر الأحلام والذكريات أو الحاضر في دقة وصفة تظهر واقعيته، أو المستقبل باستشرافه وتصوير الحياة المتوقعة فيه. ويتميز عنصر الزمن في الرواية بقدرته على نقل الأحداث والأشخاص من حال وأحداث تغيرات كبيرة في بيئة الرواية. والزمن في الرواية ينقسم إلى:

الزمن الواقعي حيث يجري الروائي أحداث الرواية في إطار زمني محدد تحكمه قوانين الزمن الصارمة وتتسلسل الحوادث فيه تباعاً نظراً لوجودها الزمني من البداية إلى النهاية. والزمن عنصر مهم من عناصر الواقع الذي يجب مراعاته في رسم الشخصية أو وصف البيئة فالروائي يدرك أن لكل زمان طبيعته وظروفه وخصائصه التي يجب مراعاتها. الزمن النفسي، ونرى فيه جانباً مغايراً للزمن الواقعي حيث تصبح اللحظة الواحدة بسبب الألم مثلاً أو لهفة الانتظار شيئاً آخر لا يمكن أن يحسب بالدقائق أو الساعات أو الأيام. ومثل ذلك لحظات التأمل والتذكير تتداعى فيها ذكريات سنوات متعددة في وقت وجيز.

المكان، هو الميدان الذي تقوم عليه أحداث الرواية ويجب على الروائي حسن اختيار المكان وإجادة استثمار محتوياته ومكاناته. وتنبع أهمية المكان في استخدامه عنصراً كاشفاً لمشاعر الشخصية الروائية وأحاسيسها. ويفصح الكاتب عن مكان الرواية و زمانها بشكل مباشر.

في هذا الرواية يذكر الروائي حوادث الرواية حسب كتب التاريخ. وهكذا يذكر الروائي بعض الأماكن حسب التاريخ مثلاً:

مكة المكرمة:

هي حرم آمن، وهي مدينة يقع فيها بيت الله الذي يحج فيه المسلمون ويذكر الروائي أن عمر حجسنة ثلاث وعشرين لما كان يفعل خلافته كلها إلا السنة التي استخلف فيها.[٢٧]

المدينة المنورة:

هي مدينة النبي صلى الله عليه و سلم كان اسمه يثرب. فلما هاجر إليها النبي والمسلمون سمّاها النبي صلى الله عليه و سلم المدينة المنورة. وهي مدينة شهيرة ثانية بعد مكة المكرمة في المملكة العربية السعودية. ويذكر الروائي عميد الأدب العربي: فلما بلغ عمر رضي الله عنه المدينة لقيه ذات يوم غلام

أعجمي للمغيرة بن شعبة يقال له فيروز، ويكنّى بأبي لؤلؤة. وكان سبي نهاوند، فقال له الغلام: إن سيدي المغيرة يفرض على ضريبة لأطيقها. قال عمر: كم يفرض عليك؟ قال الغلام: أربعة دراهم في كل يوم. قال عمر: وماذا تعمل؟ قال الغلام: أنا نجّار،حدّاد ، نقّاش. قال عمر: ما خراجك بكثير. فانصرف الغلام غضباً.[٢٨]

الكوفة:

فأما ما حدث فى الكوفة فسياسة جديدة فى بيت المال لم يالفها عبد الله بن مسعود، و لم يكن ليطمئن إليها أو يرضها، فقد كان الوليد يتوسع فى النفقة، و يرى أن له أن يصنع بمال المسلمين ما يشاء. و كان ابن مسعود قد ألف منذ أيام عمر أن أموال بيت المال ملك للملسمين لا للأمراء لا ينبغى أن ينفقوها إلا بحقها، و فى الوجوه التى تنفع عامة المسلمين.[٢٩]

دار ارقم بن أبى ارقم:

هى الدار التى بدأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الهجرة بالدعوة، و كان يجتمع فيها الرسول صلى الله عليه و سلم مع أصحابه . و فى هذه الدار جماعة المسلمين جلسوا مع النبى صلى الله عليه و سلم يسمعون له، وهو يعظهم و يزكيهم و يتلو عليهم القرآن الحكيم.[٣٠]

الحوار في الرواية:

الحوار جزء من الأسلوب التعبيري في الرواية، وهو الذي يسهم إسهاماً فعّالاً في رسم الشخصيات، ولغة الحوار عامية. يؤدي الحوار دوراً أساسيا في تنمية أحداث الرواية وتصعيدها. فمن خلال الحوار ينشأ حدث الرواية أو حملة الأحداث كما أننا من خلاله لعرف سمات الشخصيات وخصائصها التي تتميز بها وتتميز لغة الرواية بالسهولة والبساطة لأنها تحاول أن تقترب كثيراً من واقع الأحداث ومن واقع القارئ أيضاً.

واقعية الحوار:

لا خلاف بين كتّاب الرواية في استخدام اللغة العربية الفصحى في السرد والوصف والتحليل داخل الرواية، أما الحوار فإن عدداً من أولئك الكتاب يرى أنه من الممكن أن يكون بعض من العامية لكن التجربة تكذب بأن اللغة العربية في مستواها المتوسط البعيد عن الغرابة والغموض قادر على التعبير الواقعي المناسب دون حاجة إلى اللهجرة العامية.

كما يجب على الروائي أن يصنف على واقعية الحوار السمات الواقعية الدالة عليه مثل الغضب والرضا والحزن والسعادة ورفع الصوت وتخفيضه وهكذا.

والحوار المهم فى الرواية الذى يجرى بين ياسر و أبو حذيفة عن زوج ياسر هكذا:

قال أبو حذيفة: فتريد أن أهبها لك؟

قال الفتى: لا والله لا أرزؤك فى مالك

قال أبو حذيفة: فإنك لا ترزؤنى فى مالى شئًا، و إنما هي أمة و الإماء فى الدار كثير

قال ياسر: لا والله لا أرزؤك فى مالك، و ما آثرتُ الحلف على جوار إلا لتخفِّ مؤنتى علىك، و ما أن تقول مخزوم أقام فى الدار مقام الضيف، ثم لم يتحول عنها كما أقبل عليها

قال أبو حذيفة: فإن شئت زوِّجتك منها

قال الفتى: و قد أغرق فى ضحك متصل: هيهات يا أبا حذيفة! أتريد أَلِدَ لك الإماء و العبيد؟

قال أبو حذيفة: و قد ضرب على كتف الفتى بيده: ويلك! لقد عنَّيتنى منذ اليوم، تزوجها و ما ولدت لك من ولد فهو حر

قال ياسر: بأبى أنت من سيد كريم! ألم أقل إنك فخر مخزوم و زينة قريش و عز البطحاء؟

قال أبو حذيفة: حسبك؛ فقد أسرفت فى الثناء، أَقبِل علىَّ إذا كان المساء فتزوَّج، ثم تحوَّل بأهلك إلى دارك الجديدة، و عسى ألا ترى فيها إلا خيرًا.[٣١]

و الحوار هو أيضًا ذات أهمية الذى يجرى بين أم أنمار و خباب بن الأرت وهكذا:

قالت أم أنمار: ما إسمك يا بنى؟

قال الغلام: خبَّاب

قالت أم أنمار: خبَّاب ابن مَن؟

قال الغلام: خباب بن الأرت

قالت أم أنمار: خباب بن الأرت ! من أى أحياء العرب أنت يا بنى؟

قال الصبى: أحياء العرب! أحياء العرب ! لا أدرى

قالت أم أنمار: أ أعجميّ أنت؟

قال الصبىّ:أعجمى؟ أعجمى! لا أدرى

قالت أم أنمار: و ما اسم أمك يا بنى؟

هناك انتجب الصبى حتى رقَّ له قلب العجوز، فكفّت عن سؤاله.[٣٢]

هذا الحوار بين أمية و أبو بكر:

قال أمية: وما أنت و ذاك يا ابن أبى قحافة؟ عبد لنا، نَصنَعُ به ما نشاء

قال أبوبكر: هو عبد الله قبل أن يكون عبدك يا أمية، إنك إن تأت على نفسه تأثَم و تُضَيّع مالك، فهل لك فى شىء خير من ذلك؟

قال أمية: وما ذلك؟

قال أبو بكر: أشترى منك الرجل واحتكم فى ثمنه

قال أمية: و قد ضجر ببلال و تأديبه و تعذيبه: قد فعلتُ، فأدِّ إلىَّ ثمنه سبع أوراقٍ

قال أبو بكر: فخلِّ سبيله وَرُح معى حيث أؤدِّى إليك مالك

قال أمية: أدِّ إليِّ مالى أحلِّ عنه

قال أبو بكر: ويحك يا أمية! متى عهدتنى ألتوى عليك بالدِّين؟

قال أمية وقد استحيا: صدقتَ، خُذ غلامك و أرسل إلى ثمنه متى شئت

قال أبو بكر: إنما هي روحتى إلى أهلى، ثم يؤدِّى مالك إليك.[٣٣]

و أيضًا الحوار بين أبو جهل و شيبة بن ربيعة وعتبة عن ياسر

قال أبو جهل: فإن ذكر آلهتنا بخير و ذكر محمدًا بسوء؟

قال عتبة: فلك عشرون من الإبل

قال شيبة بن ربيعة: ولك منى مثلها

قال أبو جهل: إن مالكما عليكم لهين

قال عتبة: فإن أتىتَ على نفس ياسر

قال شيبة: دون أن تبلغ منه ما تريد و نرييد؟

قال أبو جهل: فَاحاتَكما إذن.[٣٤]

و هذا الحوار عن هنى مولى عمر بن الخطاب، فقد عرف عمارًا حين أسفر الصبح، فأقبل حتى دخل على عمرو بن العاص وهو جالس على سرىره ومن حوله نفر يتحدث إليهم:

قال هنى: أبا عبدالله

قال عمرو: ما تشاء؟

قال هنى: انظر أكلمك

قال عمرو: حتى خلا إليه

قال هنى: عمار بن ياسر، ماذا سمعت فيه؟

قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: تقتله الفئة الباغية

قال هنى: ها هو ذا مقتول

قال عمرو: هذا باطل

قال هنى: بصرت عينى به مقتولاً

قال عمرو: هلم أرنية. فذهب به حتى رآه بين القتلى، فلما رآه امتقع لونه، ثم أعرض فى شقٍّ، و قال: إنما قتله مَن أخرجه.[٣٥]

الأسلوب في الرواية:

إن للكاتب أسلوب سلس و مترابط فى كتابة الأحداث التاريخية بصورة مباشرة بحيث تركز فى ذهن القارىء. كما أن الكتاب احتوى على العديد من المبادئ و المفاهيم التى دعانا الإسلام إليها و نبذ أهل مكة منها حينما بعث إليهم و قد رآها منتشرة بينهم، كما أنه هذه المبادئ ليست موجهة

لأهل مكة فى زمان الرسول صلى الله عليه و سلم فحسب بل إنها موجهة إلى مكة بشكل خاص و على الناس من المناطق المختلفة أن يتخذوا العبرة و العظة من توجهات الرسول صلى الله عليه و سلم.[٣٦]

و أطرق القاص حين بلغ هذا الموضوع من حديثه إطراقة طويلة حتى ظن سامعوه أنه لن يقول شيءًا فهموا أن يتفرقوا، ولكنه رفع إليهم رأسه وتلا عليهم قول الله عزوجل:

(وَنُرِيدُ اَنْ نَّمُنَّ عَلَى الّذِينَ اسْتُضْعِفُوْا فِى الْاَرْضِ وَنَجْعَلهم ائمة وَّنَجْعَلهم الْوٰرِثِينَ وَنُمَكنَ لهم فِى الْاَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهامٰنَ وَجُنُوْدَهما منهم مَّا كانُوْا يحْذَرُوْنَ))[٣٧]

ثم قال بعد أن سكت سكتة قصيرة: صَدَق الله وَعدَه! لقد أورث هؤلاء المستضعفين أرضه ، و أذل أمامه قيصر وكسرى، وجعلهم أئمة للناس ما عاشوا، حتى إذا اختارهم لجواره و آثرهم بنعيمه جعل خالدًا، و سيرتهم رضًا، و حياتهم قدوة صالحة و أسوة حسنة، فهم أئمة للمسلمين حتى يرِثَ الله الأرض ومَن عليها. الأسلوب جميل و سلس و مترابط رغم تناوله للشخصيات كفرد تناول شخصية و ربطه بالشخصيات الأخرى داخل المجتمع و طريقة البدأ بتناول الشخصية خاصة قصة رباح و زواجه من الأميره. و جميل أن يبحث الإنسان فى شخصية المستضعفين و العبيد و حياتهم إعتبرها أجمل القصص و الدروس و العبر لأى انسان.[٣٨]

تحدث عن بعض الشخصيات من المستضعفين و المستعبدين فى الأرض من العبيد و الرقاق فى مكة و من أبرزهم ياسر بن عامر و امرأته سمية بنت خياط و ابنه عمار ، و صهيب بن سنان، و خباب بن ارت، و بلال بن رباح، و عبد الله بن مسعود، و رحلتهم الشاقة كيف وصلوا مكة كعبيد و كيف آمنوا و صدقوا برسالة البنى محمد صلى الله عليه وسلم و كيف تحملوا عذاب قريش لهم ليرجوا عن إسلامهم جانبا من الدعوة الإسلأمية و الصعوبات التى واجهت المتمسكين بها خاصة بعهد سيدنا عثمان. إن الأسلوب الفنى هو : "عنصر علوى سام: يمثل انعكاس أسلوب الخالق فى نفس المخلوق . فكان سبحأنه إنما أودع فى الإنسان أثرًا من أسلوبه فى الخلق حين خلقه و صوره".

وما ذلك إلا لأن الأسلوب هو الإطار الفنى الذى يتفاوت فيه الأدباء تجديدًا و ابتكارًا و احتذاء . وإن الكاتب إذ يخلو إلى نفيه و قلبه و يترك التصنع و التقليد، يستطيع أن يهتدى إلى أسلوبه . وهكذا نرى أن الأسلوب يمكن فى فن التعبير و الفن هو الثوب الجديد الذى يلبسه الفنان للهيكل القديم . الأسلوب لطه حسين فى هذه الرواية سهل وجذاب.[٣٩]

ذكر جمال النساء من خلال أسلوبه الروائى:

يذكر الروائى حسن و جمال النساء فى الرواية خاصة بطلة الرواية مثلًا: "كانت سمية بنت خياط ، أمة سوداء ، فى أول الشباب ، عليها من جمال نضرة قائمة بعض الشيء ، و فيها من شباب خفة و مرح ، و نشاط ، و فى لسانها المستعرب عذبة حسنة الموقع فى الآذان و القلوب ".[٤٠]

و كانت ابنة أخت أبرهة ، هى فتاة رائعة الحسن على سُمرَة بَشرتها، بارعة الجمال، فاتنة اللحظ، ليست بالطويلة ولا بالبدينة، و إنما هى ضيئلة نحيلة، قد ملأها الذُّعر و ملكها الروع، ولكنها على ذلك جَلدة متماسكة، و قال عنها سسحيم بن سهيل "حمامة رشيقة أنيفة و رب البيت!"[٤١]

ذكر الخادم و الخادمة فى الرواية:

يذكر طه حسين شخصية الخادم و الخادمة مع البطل و البطلة فى الرواية. فالخادم أو الخادمة هما وسيلة الاتصال بين أطراف الرواية الغرأمية . و بواستطهما يستطيع القارئ التوصل إلى مكنونات قلب الأحبة فالفتاة المحببة، تبوح بسرها لخادمتها، و من ثم تتلقى من خادمتها أو وصيفتها النصح والإرشاد مثلًا: كانت سمية بنت خياط أمة أبى حذيفة ، و كان أبى حذيفة قد وكل بخدمة هؤلاء الضيف سمية بنت خياط ، أمة سوداء ، فى أول الشباب، عليها من جمال نضرة قائمة بعض الشيئ، و فيها من شباب خفة و مرح، و نشاط، و فى لسانها المستعرب عذبة حسنة الموقع فى الآذان و القلوب. فكانت تغدو على هؤلاء الفتية بطعام أول النهار و تروح علهيم إذا أقبل الليل ، و تعمل فى خدمة بين ذلك ، تتحدّث إليهم ، و تسمع منهم بين حين و حين ، و كأنها قد وقعت فى نفس هذا الفتى فحبّب إليه الاقامة فى مكة. و من يدرى ؟ لعله أن يكون قد تحدّث اليها فى شيء من ذلك فأحسّ منها مثل ما أحسّ من نفسه: ميلَ الغريب المستوحش إلى الغريب المستوحش. ثم زوجت سمية بنت خياط مع ياسربن عامر، و ولدت ابن صالح، اسمه عمار بن ياسر.[٤٢]

و كان سالم غلام أبى حذيفة و لما أبو حذيفة يكون مسلمًا ، و ذهب إلى غلامه ذاك الفارسى و تقول له: إذهب سالم؛ فإنى قد سيبتك للّه عزوجل، فَوَالِ مَن شئت . قال سالم لأبى حذيفة : فهل لك أن تكون لى وليا؟ قال أبو حذيفة : هي هات ! لن أتخذت مولى،و إنما أنت ابن لى منذ اليوم.

وكان صهيب بن سنان غلام عبدالله بن جدعان و أنفق صهيب بن سنان زَهرة شبابه تاجراً لعبدالله بن جدعان ، يُثمر ماله و ينشر تجارته، فيبعِدُ بها طورًا فى أرض النجاشى و طورًا فى أرض قيصر و تارة فى أرض كسرى، حتى أصبح عبدالله بن جدعان أكثر قريش مالاً و أوسعها ثراء و أعظمها عطاء و أسخاها يدًا، و حتى قصد إليه الشعراء يبيعونه الثناء بالمال الكثير. و كان عبدالله بن جدعان كلما سمع ثناء الناس عليه وأرضاه ذلك قال لصهيب بن سنان : و إنما لك شطر هذا الثناءَ، فأنت الذى أتاح لى أسبابه و يسّرلى وسائله.[٤٣]

سالم بن أبى حذيفة ذلك الذى كان عبدًا بالأمس، فأصبح يؤم الأشراف من قريش و من الأوس و الخزرج حين يقومون بصلاتهم بين يدى الله. خباب بن الأرت ، و قد نشأ الغلام أمثاله من الأخلاط الذين يجلَبُون إلى مكة أو تُلقى آباءهم إليها الأقدار. نشأ غلامًا لا يحس ثقل الرق، ولكنه لايذوق حلاوة الحرية، و إنما هو شيء بين ذلك، ليس كامل الحرية، يرى من حوله شيوخًا سادة و شبابًا مترفين، و يرى من حوله شيوخًا أَذِلة مستضعفين وشبابًا تطمح نفوسهم و تقصر أيديهم هممهم و أسبابهم عن بلوغ ما يطمحون إليه .[٤٤]

المصادروالمراجع

١- القرآن الكريم

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ ابن الأثير، دارالكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـــ/١٩٩٤م.

٣- الإصابة في معرفة الصحابة؛ ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان. الطبعة الأولى، ١٤١٥هـــ/١٩٩٥م.

٤- البداية والنهاية؛ أبو الفداء اسماعيل بن عمر ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـــ/١٩٨٨م.

٥- تاريخ ابن كثير؛ حافظ أبوالفداء عماد الدين، مكتبة المعارف بيروت،١٨٨٩م.

٦- تاريخ الرسل والملوك؛ محمد بن جرير الطبري، دار التراث بيروت، ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م.

٧- جامع الترمذي، أبوعبدالله محمد بن علي بن الحسن، دار الجيل بيروت.

٨- الخلفاء الراشدون؛ محمود شاكر،المكتب الاسلامي، ١٤١١هـــ.

٩- صحيح البخاري؛ محمد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م.

١٠- صحيح مسلم؛ أبوالحسىن مسلم بن الحجاج، النيسابوري، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـــ .

١١- الطبقات الكبرى؛ محمد بن سعد، الزهري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـــ .

١٢- مدخل معجمي لكتاب "الوعد الحق" د. طه حسين، مقالة الماجستير، ١٩٩٤-١٩٩٦م، رضوانة حبيب، الكلية الحكومية الفيدرالية للبنات لاهور.

١٣- معرفة الصحابة؛ أبونعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحاق، الأصفهاني، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

١٤- جامع ترمذى لأبو عيسى، قديمى كتب خانة كراتشى

١٥- دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية لأحمد شايب، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية ، القاهـرة .

١٦- ''الطبقات الكبرى'' لابن سعد، دار صادر بيروت

١٧- '' المجموعة الكاملة "طه حسين ،الطبعة الأولى ، الشركة العالمية للكتاب ، دارالكتاب اللبنانى ، بيروت .

١٨- مسند الإمام الأعظم" أبو حنيفة، ، فريد بك، اردو بازار لاهور.

١٩- من تاريخ الأدب العربى'' لطه حسين ،الطبعة الأولى ، دارالعلم للملايين بيروت،

٢٠- الوعد الحق " لطه حسين ، الطبعة الأولى ، دارالعلم للملايين بيروت.

الهوامش والحواشي

١. الطبقات الكبرى لابن سعد ،٤/١٣٦،أنظر، الوعد الحق لطه حسين ، ص: ١٥٥

٢. الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٤/١٣٦، أنظر، أيضا، ص: ٥

٣. أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن أثير، ٢/٧٨٠، الطبقات الكبرى لابن سعد ،٢/٢٤٦،أنظر، الوعد الحق لطه حسين ، ص:١٣١

٤. الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٢/٢٣٢، أنظر، أيضا، ص: ١٤٥-١٤٦

٥. طبقات الكبرى لابن سعد، ٢/٢٢٦، أنظر، أيضا، ص: ١٢٩،١٣١

٦. الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢/٢٢٨، أنظر، أيضا، ص: ٤

٧. أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن أثير، ٣/٦٦٦، الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٢/١٦٤، أنظر، الوعد الحق لطه حسين ، ص:٦٨

٨. ضياء النبى لبير محمد كرم شاه ،ص: ٤٤٩، أنظر، أيضا، ص:٤٤

٩. أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن أثير، ٣/٨٥٤، الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٢/١٥٠، أنظر، أيضا، ص:٧٠،٧١ ،

١٠. أنظر، أيضا، ص: ١٣٥

١١. أنظر، أيضا، ص: ١٣٥،١٣٦

١٢. أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن أثير، ٢/٩١٠ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٢/٢٥٦

١٣. أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن أثير، ١/٣١٤ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٢٩

١٤. الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٤/٢٥٢ ، أنظر، أيضا، ص: ١٣٣

١٥. أيضا، ص:٦

١٦. أيضا، ص:١٠

١٧. أيضا، ص:١٣

١٨. ضياء النبى لبير محمد كرم شاه، ص: ٤٤٩، الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٢/٢٣٤

١٩. سورة التوبة ، الآية:٤٠

٢٠. ضياء النبى لبير محمد كرم شاه، ص: ٤٤٩، الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٢/٢٣٦

٢١. أيضا، ص: ١١٥

٢٢. أيضا، ص:١١٣- ١٢٩

٢٣. سورة يوسف، الآية:٩٢

٢٤. أيضا، ص: ١٣٣

٢٥. أيضا، ص: ١٢٣

٢٦. أيضا، ص: ١٢١-١٢٢-١٢٣

٢٧. أيضا، ص: ٩٦

٢٨. أيضا، ص: ٩٦-٩٧

٢٩. أيضا، ص: ١١٥

٣٠. أيضا، ص:١١٣- ١٢٩

٣١. أيضا، ص: ١٣

٣٢. أيضا، ص: ٦٥

٣٣. أيضا، ص: ١٠٦

٣٤. أيضا، ص: ١٦٠

٣٥. الأسلوب: دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية لأحمد شايب، ص:٣١

٣٦. سورة القصص ، الآية : ٥،٦، أنظر ، أيضا، ص:١٤٤

٣٧. الأسلوب؛ دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية لأحمد شايب، ص:٣١

٣٨. أيضا، ص: ٩٦

٣٩. أيضا، ص: ٥

٤٠. أيضا، ص: ٤٧

٤١. أيضا، ص: ٥،٦

٤٢. أيضا، ص: ٨٥

٤٣. أيضا، ص: ٤١

٤٤. أيضا، ص: ٦٧

@ 2017 by the author, Licensee University of Chitral, Journal of Religious Studies. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).